قصة من أمجاد المسلمين

وا إسـلاماه

فتح عمورية.. بل فتح المعمورة (*)

أعده وكتبه

د/ محمد أشرف صلاح حجازي

١٤٣٢ هـ - ٢٠١٢ م

مصرح به من الأزهر

وما من كاتب إلا سيفنى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم ومسلمة

للمساعدة في التوزيع الخيري اتصل على ٠٠٢٠١١١٣٣٨٣٣٨٩

﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

للاقتراحات أرسل على البريد الإلكتروني

anamuslim@windowslive.com

لمزيد من الكتب

www.Iam-muslim.net

www.Iam-muslim.com

---

* المعمورة : كل ما عمره الإنسان من الأرض.

الحمد لله كما أمر، والصلاة والسلام على خير البشر محمد رسول الله ﷺ ومن سار على الأثر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله

شهادة لا تُفتح أبواب الجنة إلا لها

ولا يأذن الله في دخولها إلا بها.

أما بعد،

يُحكى أنه في سالف الزمان، كان هناك من الناس فئام «جماعة»، اعتنقوا دينًا اسمه الإسلام.

وكان هؤلاء الناس يعيشون على عفةٍ ودين، وطهارةٍ وسلوكٍ قَويم.

وكان لهم رئيس، وكان **أيضًا من المسلمين**، وكان رئيسهم يُسمى خليفة، وهو الذي يخلف النبي الأمين في حراسة دين رب العالمين، ليعلو على كل دين.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

وكان إلى جوارهم مملكة من ممالك الطغيان، الذين أضمروا في أنفسهم غِلاً على أولئك المؤمنين، وما ذلك إلا لأنهم آمنوا بدين رب العالمين، ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨].

وكانوا كلما تلاقوا في الحرب مع المؤمنين قُتل منهم الشريف وضاع منهم النفيس[١] وهلك أشقى الطائفتين[٢].

(١) غنيمة للمسلمين.

(٢) الأشقياء هم الكافرون.

فكيف يصنع غِل الصليب ولم يُشْفَ صدرًا من فارس المتقين ؟

قال تعالى : ﴿ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٢]

فوقع قدرًا في قبضتهم ظعينةً[١] من المؤمنين، فاستأسد عليها أشقى الفاجرين وقام لينال منها ما لم ينله من كُماة الصالحين، فلطم خدًا طالما سجد لله رب العالمين، فصرخت المسلمة تستنجد برب العالمين ثم بمن جعله الله خليفة للمؤمنين.

❁ المحاكمة الخائبة

فاجتمع المثلثون والكهان والمارقون، ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥].

وقال أولهم : إن الصارخة من المسلمين.

وقال الثاني : لقد اعتدت بذلك على النظام العالمي المكين[٢].

وقال الثالث : كيف يعلو صوتها فوق صوت الصليب؟[٣]

واتفقوا ساخرين : ما لها إلا التعذيب وأن تُحرم من كل ودٍ قريب ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ [التوبة: ٨٢] فوضعوها في غياهب السجون، لأنها أَرَّقتْ الخنازير وعلا صوتها فوق صوت النواقيس

(١) المرأة المسافرة.

(٢) مثل النظام العالمي الجديد حيث تحالفت كل الملل على معاداة المسلمين، فسلبوهم حقوقهم وجعلوهم وليمة لمن أراد من ذئاب الفاجرين.

(٣) دق الأجراس فوق الكنائس ـ وهذه تهمتها ـ.

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وباتت الموحدة العفيفة في أقبية مظلمة مخيفة تحشرج في صدرها وتردد **هل من ناصر ينصرني ؟**

يارب أبلغ الركع والسجدا يارب أبلغ عباد الله يأتوا مددا

وقام العلج [١] المغوار يُري القوم كيف أن ذراعه في حجم بطن الحمار [٢]، وأنه بهذه القوة الصليبية قد لطم المرأة السُنِيَّة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]

❁ الموالاة الواجبة

فوصل إلى علم أمير المؤمنين [٣] أن امرأةً من رعيته قد آذاها المشركون ـ **وبما أنه كان من المسلمين** ـ قال :

كيف أنعم بالعيش ومؤمنة محبوسة؟

كيف أهنأ بالذرية، وامرأة أخى في حالة مزريَّة؟

كيف أصلي في سكون، ولا يغيب عنها ريب المنون [٤]؟

كيف أشبع بالطعام، وهي الجائعة منذ أيام؟

(١) العلج : كل رجل عظيم الهيئة من أكابر الكافرين.

(٢) قال تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون : ٦٣]﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة : ٨٥].

(٣) كل رئيس للمسلمين يسمى أمير ، كعمر بن الخطاب ﷺ أمير المؤمنين.

(٤) الموت.

كيف أختلي إلى حلالي، وما آمن عليها مكر الباغي [١]؟

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨].

فأمر المؤذن أن يرتفع على المنارة ليرفع أذانًا ولكن لغير الصلاة.

ونادى لِتَوه : حي على الجهاد ...

حي على الفلاح ...

يا خيل الله اركبي ... [٢]

لا يتوانى إنسان أن ينصر دين الإسلام بكل ممكن ومستطاع ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال : ٦٠].

قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا.** »[٣]

فقام الوعاظ على المنابر يدعون كل حابل ونابل

ويدعون كل فقيهٍ بالكتاب عامل

وكل قارئٍ بالأنفال ماهر[٤]

وكل شاعر يُلهب المشاعر

وكل رِبْعَة يَصْرُعُ العلج المغامر[٥]

وكل ذي حرفةٍ ليكون من الأوائل

يوقظون الثأر فى مَنْ إلى الأرض متثاقل

(١) كيف أدخل على زوجتي وما آمن عليها فجور الكافر.

(٢) إحدى صيغ الاستنفار العام للمؤمنين.

(٣) صحيح البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥).

(٤) قال ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ». [صحيح مسلم (٧٩٨)]

(٥) قال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ». [صحيح مسلم (٢٦٦٤)]

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [التوبة: ٣٨]

فقام العلماء الأخيار، ودعوا الناس إلى دار الأبرار، مُتبعين هَدْي النبي المختار، حيث أمره ربه الجبار، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ [الأنفال: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النساء: ٧٤].

فما للمجاهد بعد هذه الدار من دور سوى الجنة والسرور.

فيها من الحور كواعب، ومن القصور ملاعب، ومن المركبات نجائب.

فهلا جهادًا يشفي الصدور فيه سكنى أعالي القصور.

فأقام **لواء الإسلام** الذي طالما **عقده محمدٌ** عليه الصلاة وأتم السلام ورفعه من بعده الراشدون [١] وقام ينصره المتقون.

لواءٌ **لونه أسود**، فكما لا يغلب السواد لون، فكذلك لا يقهر المتقين قوم، وكيف تُهزم راية النبوة و «لَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ»[٢].

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

(١) الخلفاء.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٦١١)، والترمذي (١٥٥٥)، وابن ماجه (٢٨٢٧)، والدارمي (٣٢٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٥٠).

❁ أمة ليست ميتة

فلبى المسلمون الندا، فقام القوي الكميُّ [١] وقام الضعيف الأبيُّ [٢]، وقام الغني الثريُّ **ينفق بكلتا يديه** ويقول: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء: ٧٧]، خذ يا حسين السيف وخذ يا عليّ الدرع، يبتغي عظيم الأجر. ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ [الحديد: ١٠]، فكلهم أراد أن يسكن **أعظم درجة**، ﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ [النساء: ٩٦] فكما جعل الله الجنة درجات جعل كذلك النار دركات.

وكلهم أراد أن يدخل الجنة من أعلى أبوابها، فإن للجنة ثمانية أبواب منها ـ أو أعلاها ـ باب الجهاد.

❁ المعاونة على النصرة

إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَمُنْبِلَهُ.

❁ عزيمة كالجبال

وقام الفقير المجهود [٣] وفكر في أمره واحتار، وراود النفس واختار [٤]، فإنه دين الجبار.

(١) الشجاع ذو السلاح.

(٢) ضعيف الجسد لكن له همة الأبطال.

(٣) الفقير المجهود: الذي أجهده الفقر فلم يجد ما ينفقه.

(٤) اختار نصرة الإسلام رغم أنه لا يملك شيء.

فقال : يا أم عمار ! كيف أنصر دين النبي المختار ؟ فوالله إن كنت لا أملك إلا الإزار [١] لكنت بعت الدار وخرجت بالبتار [٢] أبتغي الثأر.

فخرج مع المعتصم [٣] كل معتصم [٤] ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحج : ٧٨]، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران : ١٠٣] فزادوا على الألف من الآلافِ تسعةٌ وتسعون [٥].

كيف لا؛ ومازال فينا **أوسٌ جديدون وخزرج**.

كيف لا؛ وقد أغلق التجار متاجرهم بعد ما علموا أنه في البلاد البعيدة، الدينار يربح على الله سبعمائة، فتركوا القليل الفاني وابتغوا الكثير الباقي [٦]، قال تعالي : ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة : ٢٦١].

وقام الزهاد من المحاريب وقالوا : ما أكرم عند الله بعد **شد الإزار** من **شد الرحال** [٧].

ولما لَبَّى العِبَاد مرة لَبَّى العُبَّاد **ألفًا كواملاً**، ولم ينتظروا رفقة

(١) الإزار : ما يلفه حول وسطه ليستر عورته.
(٢) البتار : السيف القاطع الذي يبتر الكفر.
(٣) المعتصم: الخليفة في ذلك الزمان.
(٤) معتصم: هو الملتزم بدين الله وهم أتباع الرسول ﷺ .
(٥) كان عددهم مائة ألف.
(٦) لأن النفقة في الجهاد وتجهيز الجيش يضاعفها الله سبعمائة مرة.
(٧) شد الإزار هو الاجتهاد في العبادة كما في العشر الأواخر من رمضان ، وشد الرحال هو من إعداد العدة للجهاد استعدادًا للذهاب إلى ثغور المسلمين.

الطريق **عسى أن ينالوا مرافقة الحبيب** ﷺ ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة : ٤١].

وطوى طلاب العلم **الصحائف** وابتدروا بِيض **الصفائح** [١].

أما العلماء لما افتقدوهم، **وجدوهم قد سبقوهم** ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران : ١٣٣].

❁ نية المرء خير من عمله

وأُخْرِجَت الخيول من المكامن ليوم صبيحةٍ ظل في النفوس كامن : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ. » [٢]

فسار المعتصم بالمؤمنين يبتغى أرض الكافرين، فوجد من دون ذلك أرضًا ذمية وأرضًا كفرية. فصالح وفتح [٣] وكان همهم **فتح قلوب العباد قبل فتح البلاد**.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦] وتحقق موعود رب العالمين ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء : ١٠٨]. ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف : ١٢٨].

(١) الصحائف : كتب العلم ، والصفائح : السيوف والسلاح.
(٢) صحيح مسلم (١٩١٠).
(٣) صالح أهل الذمة على أن يدفعوا الجزية عن صَغَارٍ للمسلمين.

❁ الجنة تحت ظلال السيوف

وأثارت سنابك الخيل **الغبار الأطيب** يثور في وجه كل طيب مُطَيَّبْ يَحْجُبُ عنه دخان نار تَلْهَبُ «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَفَيْحُ جَهَنَّمَ**»[1]، «**لَغَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ**»[2].

ولا يجمع الله على عبدٍ خوفين ولا أمنين في الدنيا والآخرة، فمن خافه في سبيله في الدنيا أمَّنَه يوم الخزي والندامة، ومن اختار الركون لزهرة الدنيا، عذبه الله يوم الفضيحة واستبدله من هذه الدنيا الفسيحة، قال تعالى: ﴿**إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [التوبة:٣٩]، وقال: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم**﴾ [محمد:٣٨]

❁ المدد الإلهي

وكأن الأرض طُويت تحت أقدام المؤمنين، وكأن الرياح سارت تحث الصالحين، وكأن الجبال ذُلِّلت للمتقين، وكأن الأبواب فُتحت للفاتحين ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الفتح: ٤]، ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾ [المدثر: ٣١].

(١) صحيح: رواه أحمد (٨٢٧٤)، والنسائي (٣١٠٩)، وابن ماجه (٢٧٧٤)، صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٢٠).
(٢) صحيح البخاري (٢٧٩٣)، ومسلم (١٨٨٢).

وأشرف المعتصم على القوم، وكان فيما غَنِم: قطيعًا من الخراف، فيه من المئات ألف ﴿**وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ**﴾ [التوبة: ١٢٠].

وزحف الخليفة بالمسلمين حتى حاصر ديار الكافرين، ثم نزلوا وأحكموا الحصار ورددوا قول النبي المختار ﷺ: «**إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**.»[1]

وحاق بهم المؤمنون، وكانوا من قبل بهم يستهزئون.

ونزل الرعب بالكافرين ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**﴾ [الحشر: ٢].

قال ﷺ: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**.»[2]

❁ غرور الطاغية

وظن مِلكُها الطاغية[3] أنه سينتصر بمن حوله من الفئة الباغية ولكنهم لم ينصروه ﴿**وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ**﴾ [الحشر: ٢٩] ﴿**وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا**﴾ [الكهف: ٤٣]

❁﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾

وخرج كبيرهم ووليّ النعم[4] وصاحب الإنجازات، ومُقَدِّم

(١) صحيح البخاري (٣٧١)، ومسلم (١٣٦٥).
(٢) صحيح البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).
(٣) الطاغوت: هو كل من أمر الناس بطاعته من دون الله فأحل وحَرَّمَ عكس مراد الله.
(٤) ولى النعم: سخرية من عظيم الكافرين فقد كانوا يسمونه بهذه الأسماء.

التضحيات، وسبب الخيرات المُنزلة، ودافع النِقَمْ المُحدقة، وصعد على أعلى الأسوار ليخبرهم : كيف سينهي الحصار ﴿ **وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ [آل عمران : ٢٤]، **فوجد الوديان قد مُلئت عليه خيلاً ورجالاً**.

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾

ونظر أشقاها [١] أيمنَ منه فلم يَرَ إلا **وجوهًا عابسة**، ونظر أشأمَ منه فلم يَرَ إلا **سيوفًا لامعة**، ونظر تلقاء وجهِه فوجد غيامةَ الموتِ الزوآم تقترب من الآكام [٢].

وحينها يتمنى الكافر لو كان من المسلمين، قال تعالى : ﴿ **رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** ﴾ [الحجر : ٢]

❁ منعه منصبه من التوبة

نظر زعيمهم، وتذكر سيئات ما عمل، فرجع بالخيبة والندامة، والحسرة والملامة على عُمرٍ أمضاه في غير الطاعة، وأيقنَ بالعَطَب والبوار، والذلة والانكسار ﴿ **مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** ﴾ [الحاقة : ٢٨ – ٢٩].

وملأ الكفار خنادقهم بالماء، وخزنوا الحبوب والغلال، وتهيئوا لطولِ الحصار ﴿ **وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [الحشر : ٢].

---

(١) أشقى القوم : زعيمهم في الباطل.

(٢) تقترب من الهضاب ومن صفوف المؤمنين، فيها العذاب للكافرين، وفيها الرحمة للمؤمنين، فتغشاهم الرحمة، وتنزل عليهم السكينة ويُجاب دعاؤهم وترفع درجاتهم وتمحى سيئاتهم.

وجمعوا للمؤمنين، وغفلوا عن قول رب العالمين ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ** ﴾ [القمر : ٤٥ – ٤٦].

❁ مؤتمرات السلام

وتعالت الأصوات لعقد مؤتمرات سلام « وهمية ».

تضيعَ الوُقت وتميعُ القضية، وتتفرع وتطول حتى تفترَ العزائم الأبية.

وتطول وتتفرع على أملِ التسويةِ السلمية، حتى ينشغل كل مجاهدٍ بمعاشِه.

ثم تموت القضية ثم تدفن ويوضع على قبرها شاهُد مكتوبٌ عليه: **وما زالت مفاوضات السلام في استمرارية**.

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ﴾

ولكن هذه الخدعة الساذجة لم تنطل على أصحاب العقيدةِ السوية « **عقيدة إياك نعبد وإياك نستعين** » تلك العقيدة الإسلامية.

وأخبروهم أن إمامنا العظيم وسيد المرسلين لم يأذن إلا في ثلاث ليالٍ، بعدها **الفصال والنزال**، إن لم **يدخلوا في دين الواحد ذي الجلال**، أو **يدفعوا الجزية** مع الصغار والإذلال.

وصلى المسلمون صلاة الخوف في الحرب والقتال ﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا** ﴾

مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [النساء : ١٠٢].

وبعد انقضاء ثلاثة أيام الدعوة والإمهال، سطعت في رأس أحد الساجدين فكرة ربانية، أَسَرَّ بها إلى قائد السرية، فأمر الأمير ليومه كل مسلم أن يذبح أضحية، يأكل لحمها ويُبْقي فراءها.

وفي المساء أمرهم أن يملؤا الفراء رمال ويربطوا فوقها الحبال، وقال: اذهبوا جماعة جماعة وأظهروا أنكم تناوشون أهل الصَغار فَتُلْقوا خراف الرمال في خندق الوبال، فإذا اشتدت هجمة الكافرين فارتدوا غير آثمين[1]. فـ «الحَرْبُ خُدْعَةٌ»[2] وإنه الرأي والحرب والمكيدة، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ [الأنفال : ١٦].

فكان لهم ما أرادوا حتى ردموا الخندق إلا شبرًا.

❁ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾

ومكر الله بالكافرين ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤]، وظنوا أنهم هزموا المؤمنين، فَغَنَّت المغنيات ووزِّعَت المسْكِرَات، قال تعالى: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ٩]، ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٧].

(١) غير آثمين لأن التولي يوم الزحف من السبع الموبقات، لكن هذا كرٌ واستدراج للكافرين.
(٢) صحيح البخاري (٣٠٢٨)، ومسلم (١٧٣٩).

ولما دارت الخمر بالرؤوس كان وقت السحر [1]، وقتٌ يحبه المؤمنون ويدعو فيه المخلصون [2]، ويُقال فيه العاثرون [3].

وفي وقت السحر تختلف أفعال البشر

فريق في الجنة وفريق في سقر

فقام الإمام وقال : كلمة السر ما سنَّه لنا خير البشر عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، يتعارف بها المؤمنون في الظلام : الأولى **يا منصور أمِتْ أمِتْ**، وردها : ﴿ حمٓ ﴾ ﴿ لَا يُنصَرُونَ ﴾.

❁ الجنة ريحانة تهتز

وأُعدت الجنة للمتقين، وتشوقت للصالحين، وفُتِّحت أبوابها، وفاح مسكها، وأينعت ثمارها، وجرت أنهارها، وعلت قصورها، وتزينت حورها تشتاق ساعة عرسها.

ولو أُذِنَ لها فتكلمت لقالت: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] [4].

فإن الله اختار أقوامًا رفع على أيديهم دينه وأظهر بهم شريعته وأعلى كلمته فلهم لا لغيرهم أعد جنته وزينها بيده كرامة لهم.

فهم لرسوله متَّبِعون، وغدًا لحوضه واردون، وتحت العرش

(١) هو الثلث الأخير من الليل.
(٢) ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران :١٧]
(٣) أقال الله عثرته : أي قبل توبته وغفر له.
(٤) لما خلق الله جنة عدنٍ خلق فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها تكلمي، فقالت: «قد أفلح المؤمنون».

مستظلون، وعند باب الجنة يزدحمون، ومن فتنة القبر ناجون، ومن العذاب هم آمنون.

❁ « لاَ سَوَاءً، قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاَكُمْ فِي النَّار »[1]

وكذلك أُعدت الجحيم للغاوين وسُعرت وتلظت وتفجرت تستقبل هلكى الفاجرين، حتى إذا وردوها علا لهيبها، واستعر حرها، كيف لا وهم وقودها ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

ولو علموا أنهم غدًا عن الرحمن محجوبون، وقبل الميزان مطرودون، وعند الصراطُ يُتخطفون، وفي دركات الجحيم هم يتساقطون.

ولو علم الكافر أن له بعدد حبات رمال الصحارى وقطرات مياه البحار، بكلٍ منها سنة يُعذب في النار لاطمأنت نفسه؛ لأن لذلك نهاية، ولو بعيدة، ولكنه علم أنهم منها لا يُخرجون، ﴿وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

❁ اللّه غالب

« اغْزُوا باسْمِ اللَّهِ فِي سَبيلِ اللَّهِ »[2]

(١) أمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقولها بعد معركة أحد.
(٢) صحيح مسلم (١٧٣١).

وهبت رياح الجنة من وراء الأسوار، فقام من ظنوهم مهزومين **فإذا العدة الكاملة مُهيأة للحرب الشاملة**، وإذا رداء الصلاح هو هو رداء الكفاح، وإذا صفوف الصلاة هي هي صفوف القتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وإذا أبكرهم إلى الصف المقدَم في الصلاة أسبقهم إلى الصف المقدَم في الجهاد، وإذا هو أقربهم إلى الكافرين بل **وأقربهم إلى جنة رب العالمين** ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

فقد كان لهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان ﷺ أشجع الناس، وعند القتال يكون أقرب الناس إلى العدو، و**كان يُحتمى به إذا حميَّ الوطيس**.

﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]

وعلا صوت القُرّاء بسورة الأنفال وسورة القتال « سورة محمد » فكأنك بجيش المسلمين لا تسمع فيهم إلا همسًا، ثم أزيز صدورهم عند سماع القرآن، ثم ندى لِحَاهم **بدموع شوقهم إلى جنة الرحمن**.

فلعله يفوز بأمنية طالما دعا بها في دعاء إفطاره بعد ظمأ الهواجر، أو ختم بها بعد طول قيامه في برد الليالي، فما بين أحدهم وبين بلوغ الأماني **إلا دفقة من الدمِ القاني**.

واقتدوا بأصحاب نبيهم الذين كان لهم في الحروب **أربع تكبيرات**[١].

فمع الأولى : صفوا.

ومع الثانية : استعدوا.

ومع الثالثة : شدوا وتشهدوا.

ومع الرابعة : باعوا وقبضوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١].

فما ترى في الهواء إلا ساعدًا أو جمجمة ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢].

❁ « قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ »[٢]

واستفتحوا فجاءهم الفتح[٣] ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال : ١٩]، وخاب كل جبار عنيد ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم : ١٥].

❁ ثم تقدم الصفوف رجال **بايعوا على الموت**، فمن الناس من

(١) وكان يأمر بها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كما في القادسية.

(٢) صحيح مسلم ١٩٠١.

(٣) وكان من هديه ﷺ أن يبدأ الهجوم بعد زوال الشمس عن كبد السماء قبيل صلاة الظهر حيث المسلمون في جُمَع وجماعات يدعون للمجاهدين ولكن كان كثيرًا من أمراء الجهاد يُبَيِّتُ القوم كخالد بن الوليد قبل أن ينظموا صفوفهم في الصباح.

يبايع على الإسلام ، ثم من الناس من يبايع على السمع والطاعة ، ثم من الناس من يبايع على الجهاد ، ثم من الناس من يبايع على الموت ، وهو أن يقاتل في سبيل الله حتى يقتل أو يُفتح له ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠].

فإما لقاءٌ بعد نصرٍ مؤيدٍ
وإما لُقاءٌ عند حوض محمدٍ ﷺ[١]

ومنهم من تطيب بطيب أكفانه وَوَدَّعَ إخوانه وكسر جفن سلاحه يبتغي لقَاء أحبابه، فكم اشتاق إلى محمد ﷺ وأصحابه فإن المؤمن إذا قُتل شهيدًا دخل الجنة من فوره ووجد هنالك من سبقوه ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣].

ومنهم من نادى **يا أصحاب سورة البقرة** فهبوا وكانوا أول الناس، وإذا بحملة القرآن يثبون وُثُوب الأسود إذا هجمت لا يصدها شيء.

فهجموا هجمة واحدة على خندق الكفر وساروا على خراف الرمال ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف : ١٤].

فظن المثلثون أن المؤمنين من سحرهم يسيرون على الماء ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧].

وارتقى المؤمنون الأسوار وجعلوا يقتلون الثُمَّل[٢] ذات اليمين

(١) فإن للمؤمن أحد الحسنيين : إما نصر وإما شهادة، فإما لقاءً في ميدان الكافرين وإما لقاءً عند حوض سيد المرسلين ﷺ.

(٢) المخمورين.

وذات اليسار ، ولم يكن يومئذ قتال وإنما قتل الفجار.

فإن عقولهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم : ٤٣] فليس في نفوسهم إيمانٌ ولا عقيدة ولا ما يحفزهم على مواصلة القتال، فلأجل من يقاتلون؟ وفي سبيل من يُقتلون؟ فسرعان ما ينهزمون﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء : ١٠٤].

❁العلمانيون الأوائل «حاشية الملك المنافقون»

وهنا سُقط في أيديهم ، وقام حاشية الملك يُخذِلون فيهم « وهم حاشية كل ملك في كل زمان، وهم يزيدون من ضلال الملك، ولكنهم الآن تخلوا عن الملكَ وأرادوا أن يداهنوا المؤمنين لما رأوا أنهم هم الغالبون » وقالوا يرجفون في أهلهم : ألم نخبركم أنهم يسيرون على الماء ويطيرون في الهواء؟ وجعلوا يقولون للمؤمنين : أليس لما رأيناكم فاتحين قلنا لقومنا إنكم على الحق المبين؟ ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة : ٨].

ونسوا أنهم منذ ساعة كانوا أبواق الحرب على المؤمنين ، وكانوا من أسباب الفتنة للصالحين، وكانوا أداة الكرب للعابدين، وكانوا يسمون أنفسهم أصحاب الفكر المستنير﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون : ٤].

الذين اتخذوا سب الإسلام سُلَّماً لمداهنة الحكام

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء : ٧٦].

وكانوا يقطعون على عباد الله الطريق إلى الله، فاستحقوا أن يؤذَنوا بالحرب من الله « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. »[1]

وكانوا يساعدون الفرعون لِوَأْدِ من يظنوه سيصبح داعية، ولكن سيفلت من بين أيديهم حتمًا **موسى** ليُغرق فرعون وأتباعه في **اللُّجَج العالية**.

❁ إعرف عدوك

❁أليس أسلافهم الذين قالوا عنه « **الصادق الأمين** ».

ثم مر الزمان وجاءت دعوة الإسلام فلما قال لهم ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود : ٦١] قالوا **ساحر أو مجنون**. فكيف يكون الصادق الأمين، فلما رَشَدَ وبلغ الأربعين صار ساحرًا أو مجنونًا؟

ثم من بعده كم رجل عظيم أثنى عليه قومه فلما بدت عليه أمارات الالتزام وصار يدعوهم إلى الواحد الرحمن، قالوا إرهابي أو متطرف، بل وأغلظ من هذا من ألقاب، بل ويفترون عليهم ما لم

(١) صحيح البخاري (٦٥٠٢).

يفعلوا، كما قال فرعون عليه **لعنة الله** لموسى **نبي الله** ﴿**وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩]

❁أليس أسلافهم الذين اختلفوا عند نقل الحجر الأسود ولم يرتضوا حكمًا إلا محمد بن عبد الله فوضع النبي ﷺ الحجر على ردائه « عباءته » فرفعوه من كل الأطراف ونقلوه.

ثم مر الزمان وجاءت دعوة الإسلام وقام رسول الله ﷺ يصلي في المسجد الحرام، نفسه، عند الحجر الأسود، نفسه، مشتملًا برادئه (عباءته) فوقفوا حوله حتى إذا سجد **ألقوا عليه وعلى ردائه سلا الجزور**[1]. فكيف **يُكَرَّم** الرداء بحمل الحجر الأسود، ثم لما أسلم صاحبه صار **يُهان** ويحمل سلا الجزور والنجاسات؟

ثم من بعده ﷺ كم من ساجدٍ في المساجد أُسْتُشْهِدَ وهو ساجد؟

❁ أليس أسلافهم الذين افتخروا بحضور محمد بن عبد الله لحلف الفضول حيث اجتمعوا وتعاهدوا **وتحالفوا على نصرة الضعيف المظلوم**؟

ثم مر الزمان وجاءت دعوة الإسلام وأصبح هذا الضعيف المظلوم من المسلمين، فاجتمعوا ثانيًا، ولكن لم يجتمعوا لنصرة الضعيف لأنه الآن من المسلمين، بل تعاهدوا **وتحالفوا على حبس هؤلاء المسلمين الضعفاء في شعب أبي طالب**

(١) وهي مخاض الجمل عند الولادة وما فيه مما يؤذي النفس.

وأن يمنعوا عنهم الطعام والشراب وعلى رأسهم الرسول نفسه ﷺ. وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها داخل الكعبة ليعطوها قوة دينية، فيُسكتوا ضمائرهم عن هذه الوحشية.

ثم من بعده ﷺ يقوم الناس لنصرة الضعيف المظلوم ويقرروا حقوق الإنسان ولكن **بشرط ألا يكون من المسلمين** فإن كان من المسلمين فليس له إلا الاضطهاد المهين. ﴿**وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ٦٨].

❁ همة فارس المؤمنين

ورغم أن الكفار والمنافقين لا يكيلون إلا **بمكيال الحقد** على الإسلام والمسلمين.

إلا أن فرسان المؤمنين كانوا يكيلون **بمكيال الرحمة** للعالمين.

وكان **همهم فتح قلوب العباد قبل فتح البلاد**.

ولم يقتلوا امرأةً ولا شيخًا ولا طفلًا صغيرًا ، ولكن كان فارس المؤمنين يبحث عن **الكافر العنيد والفارس الصنديد** فيبدأ به.

رغم علمه أن **الكفار لم يستأسدوا إلا على امرأةٍ من المسلمين**.

وربما أحصوا للفارس من المسلمين قتل مائة من فوارس الكافرين وكبرائهم غير من قتلوا من الغوغاء في هيجة الوغى[1].

وكان أحدهم يُؤْثِرُ أخاه بنفسه ويقدم نحره دون نحره.

(١) كالبراء بن مالك والقعقاع بن عمرو والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم.

أما الكافر فكان يتأخر حتى يُقتل أخاه دونه ، بل يتأخر حتى يُقتل كل الجيش دونه.

﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾

وارتج التكبير من وراء الأسوار وفُتحَّت الأبواب، والتقت كتائب الإيمان في وسط الميدان.

وكأن البوابة الشرقية قد دخلتها كتائب خالد[١] تزأر، وكأن البوابة الغربية قد اقتحمتها سيوف الناصر[٢] تلهب، وكأن الأسوار الشمالية قد دكتها جموع الفاتح[٣] تهدر، وكأن البوابة الجنوبية قد علاها قطز[٤] يصرخ « **وا إسلاماه وا إسلاماه** »، وكأن البوابة السماوية نزلت منها ملائكة الرحمن مسومةً على خيل بلقٍ تسبقهم إلى خطم أنوف تعرفهم للباطل دومًا سبقت، ولغضب الرحمن تعنت، فما بكت عليهم أرض ولا حزنت[٥].

﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

وقام فارس المتقين وجمع أولئك المارقين وحصرهم في ركن ركين ثم **عجَّل**

(١) سيف الله خالد بن الوليد ﷺ هازم المرتدين والمشركين والمجوس والمثلثين.
(٢) الناصر صلاح الدين بطل حطين وهازم الصليبيين، أحرق عليهم العشب في أشد الصيف، فجمع عليهم لهب السماء ولهب الأرض، فأسر ملوكهم وكسر صليبهم.
(٣) الفاتح محمد بن مراد العثماني فاتح القسطنطينية وهازم البيزنطيين.
(٤) المظفر قطز أسد الإسلام هازم التتار في عين جالوت.
(٥) ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [الدخان : ٢٩]

بهم إلى قعر الجحيم[١] فلا حاجة لهم في ديار المسلمين.

ما كنت تظن أن الرجل من المؤمنين به من القوة ما به، حتى يعاين البلاء ويبتغي موضع الشهداء.

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الفتح : ٢٢].

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ [إبراهيم : ٤٧].

فيومئذ لا ترى من بقى من المجرمين إلا مُقَرنين في الأصفاد ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب : ٢٦].

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ ﴾

قالت كتائب الشيطان : لا تحصدوا منَّا الرؤوس واحصدوا من كانوا علينا رؤوس.

فقرأت جنود الرحمن ﴿ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [النحل : ٢٧]، ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ [القصص : ٨].

قال أتباع الغرور[٢] : ﴿ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب : ٦٧].

(١) يعني قتلهم ؛ لأن الكافر إذا مات دخل النار.
(٢) هو الشيطان، قال تعالى : ﴿ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [الحديد : ١٤]

فآتوهم ضِعْفَين من العذاب والعنوهم لعنًا كبيرًا.

قال الكبراء : تبرأنا منهم ، ما تبعونا إلا جمعًا للشهوات وبُغْضًا للطاعات. ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ [يونس : ٧].

قال أتباع الطواغيت : الآن عرفتم أن هناك طاعات وضدها شهوات ؟ أين مكر الليل والنهار إذ تصرفوننا عن ربنا الجبار؟ ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ﴾ [سبأ : ٣٣].

فتقطعت بينهم الصلات وانقلبت عداوات ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص : ٦٤]، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر : ١٤].

قال المؤمنون : بل لجميعكم ضعفٌ من أليم الحساب ثم يوم القيامة ما أشد العذاب.

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٣٨]، ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج : ٧٢].

❁﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾

فما هو إلا أن بزغ الفجر وصعد من عليه الاختيار يؤذن على أعلى الأسوار :

اللّه أكبر اللّه أكبر

أشهد أن لا إله إلا اللّه أشهد أن محمدًا رسول اللّه.

وقام الإمام لينهي كل مظاهر الشرك ومؤسسات الفجر وبيوت

العهر وهو يردد ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء : ٨١].

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج : ٤١].

❁﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾

وطلع النهار وقام أمير المؤمنين يصلي لله من الركعات **ثمانٍ ضحى ، صلاة فتح** الديار.

ومن لحظتها عَلَتْ تلك الأرض أحكام الإسلام وسرت فيهم شريعة الرحمن.

وأصبحت الدار دار إيمان بعد أن كانت دار كفران ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة : ٤٨].

❁الشيطان يحث الكافر على كل باطل

❁﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾

ونُودي على أشقى الفجار : هيا أيها العلج المغوار[1]. أين كنت أثناء فتح الرجال «هرب الجبان عندما رأى سيوف الرحمن»، أعلمتَ الآن **أنه ليس كل الذكور رجالاً**، أين بأسك في الأبطال[2]؟

(١) المغوار : سخرية منه لأن المغوار لا تقال إلا للبطل الحقيقي.

(٢) أين ما كنت تدعيه من القوة في وسائل الإعلام.

أين عَصَبَتُك [١] وأهلك؟ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٥-٢٦]، نفخ في أذانكم الشيطان وهرب عندما سمع الأذان [٢]

❁ رجل لا يعرف الله ولا يدري ما الجنة

الآن بَانَ الجبان **فإذا هو لا يعرف الرحمن ولا يدري ما جنة رضوان**، وإذا هو لا يدري ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]، فإذا الندم يأكل قلوبهم، وإذا الحسرة تعتصر أفئدتهم ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [يونس: ٥٤]

❁ القصاص

وقال المنادي: أين أم المسلمين وأخت الصالحين وبنت الأكرمين؟ أهذا يا أخت ضرب الخد المغطى لم يبين [٣]؟

اجمعوا كل عَصَبَته وأهله ومن منعوه ونصروه: آباءه وأبناءه وإخوانه وأعمامه وأبناء عمومته في أكبر الميادين، وصِحْ يا منادي في هذا العزيز الكريم [٤]: أأنت استأسدت [٥] على امرأة من المسلمين؟ وأنتم ظاهرتموه [٦] على هذا المنكر المشين؟

فلا ورب البيت لا أرجع حتى آخذ حق رب العالمين.

---

(١) العصبة: هي أقارب الرجل الذكور من ناحية أبيه وهم الآباء والأبناء والإخوة والأعمام وأبناء الأعمام.

(٢) «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ.» [صحيح البخاري ٦٠٨]

(٣) لم يبن: لأنها لما صرخت أمسكت بنقابها ألا يسقط عن وجهها.

(٤) قال تعالى يسخر منه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]

(٥) إستأسدت: صرت كالأسد أمام إمرأة وأنت فى الحقيقة لا تعدو أن تكون حشرة.

(٦) أعنتموه.

اضربوا الرقاب بالسيف المتين، وألقوهم على مزبلة الخائبين، قال تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

❁ الوفاء

ورجع الجيش ومعه الغُنْم الثمين، رجعوا ومعهم امرأةً من المسلمين.

فـ «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ.**» [١]

وبردت أكباد الصالحين، وهدأت دماء المتقين، وعلت راية الموحدين، وشفى الله صدور قوم مؤمنين ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

ورَجَت كل نساء المؤمنين أن تلد مجاهدًا للمسلمين ـ دَيْنًا عليها تؤديه لأمة العابدين ـ فما الفرق بينها وبين أخت عمورية؟

أليس إن كانت مكانها لقامت لها أمة الصالحين؟

فكيف تجزيهم وهي عندهم بهذا القدر الثمين؟

❁❁❁

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٣)، وأحمد (٢ / ١٩٢، ٢١١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٤٧٥).

الخاتمة

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور : ٥٥].

❁ عن سهل بن سعد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي.»(١)

❁ عن ثوبان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا »(٢).

❁ عن تميم الداري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ(٣). »

(١) صحيح : رواه أحمد (٢ / ٥٠، ٩٠ ، ٥٦٣٤)، والبيهقي في«شعب الإيمان» (١١٩٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٠١٦)، والطبراني في «مسند الشاميين » (٢١٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٣١).

(٢) صحيح مسلم (٢٨٨٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤ / ١٠٣) ، والطبراني في «الكبير» (١٢٨٠)، والحاكم (٨٣٢٦)، والبيهقي (١٨٤٠٠)، وابن حبان (١٦٣١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣).

❁ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء : ٥١]

❁ ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٤-٥]

❁ ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص : ٨٨].

يا أمتى صبرًا فليلك ... كاد يُسفر عن صباح
لابد للكابوس أن ... ينزاح عنا أو يُزاح
والليل إن تشتد ظلمته ... نقول : الفجر لاح
والفجر إن يبزغ فلا ... نوم وحي على الفلاح
لا يصنع الأبطال ... إلا في مساجدنا الفساح
من خان حي على الصلاة ... يخون حي على الكفاح

فاختر لنفسك يا أخي مع أي الفريقين أنت غدًا، فإنهما فريقان فقط ؛ ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى:٧]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد أشرف صلاح حجازي

❁❁❁❁